

كلمة البروفسور سليم دكّاش اليسوعيّ، رئيس جامعة القديس يوسف في بيروت، في حفل تكريم السيّدة كرمل واكيم، يوم الخميس الواقع فيه 30 تموز (يوليو) 2020، في حديقة رئاسة الجامعة في جامعة القديس يوسف – طريق الشام.

عندما وُلدت كرمل غفري في يوم من الأيام، قبل بضعة عقود، في "عين إبل" في جنوب لبنان (في الواقع حدث ذلك في طرابلس)، شعر والدها ابراهيم أنّها كانت طفلة مميّزة جدًّا وُهِبَتْ له هو وزوجته لوسي. نظر ناحية فلسطين، الأرض المباركة، فرأى جبل الجليل منورًا. لقد فهم أنّه كان من الضروري إعطاء الطفلة اسمًا مختلفًا تمامًا عن الآخرين، اسم كرمل، جبل الكرمل، "ها كاراميل" الذي يعني كرم الله.

وهكذا بدأت المغامرة بهذا الاسم الجميل الذي كان يناسب تمامًا الطفلة، مع إيمان عائليّ أدّى إلى تنشيط مسارها وتنويره، يعتني بها أشقاء ذوو ثقة كانوا يقودونها نحو تحقيق ذاتها. من المدرسة التي كانت تنجح فيها بشكل جيّد، في بيئة عائليّة وهبتها إحساسًا بالخدمة والانتماء إلى بلدها، توجّهت نحو الجامعة وليست أي جامعة، جامعة القديس يوسف في بيروت، لإكمال دراستها في التنشيط الاجتماعيّ، توجّتها بإجازة ثمّ بالماجستير في العلوم الاجتماعيّة ثمّ شهادة الماجستير في إدارة الأعمال التي استعادت بها كلّ خبرتها في خدمة الجامعة وطلابها. كانت تتّجه نحو هذه المؤسسة اليسوعيّة التي لم تعد قادرة على فصل نفسها عنها وكان ذلك في كلا الاتجاهين.

ففي هذه الأثناء، وانطلاقًا منها، ستكون كرمل امرأة المؤسسات الثلاث : أسست صاحبة الكرم الجيّد عائلة رائعة توجّحت بثلاثة أقمار برفقة زوجها الراحل جورج الذي عرفته جيّدًا في مدرسة "الجمهور". في الوقت نفسه، خلال رئاسة الأب جان دوكرويّه Jean Ducruet والأب رينيه شاموسي René Chamussy، أسست في العام 5/1984 عائلة كبيرة أخرى مماثلة لعائلة إبراهيم، وهي عائلة الخدمة الاجتماعيّة في جامعة القديس يوسف في بيروت. وثالثًا، وكما تعلمون، واجهت التحديّ المتمثّل في المساهمة بشكل كبير في تأسيس أسرة ثالثة، وهي مؤسسة Fondation USJ التي كرّسها مجلس جامعنا لجمع الأموال، في المقام الأوّل، من أجل الطلاب الذين هم علّة وجودنا، ولتطوير الجامعة التي لا تزال مشروعًا يسوعيًّا لكنّها، علاوة على ذلك، تفرض نفسها كمشروع أكاديميّ في خدمة لبنان.

في العام 2009، خطرت لكرمل فكرة الاحتفال بيوبيل الذكرى الخامسة والعشرين لتأسيس دائرة الخدمة الاجتماعيّة. أتذكّر كرمل عندئذٍ، المنكبّة على العمل والملتزمة والسعيدة دائمًا، وكانت تكرّر دومًا ذلك، في وقت انعقاد المؤتمر، تفكّر في الجميع وحاضرة للجميع، فخورة بهؤلاء الطلاب الذين كانوا حاضرين ليشهدوا على ما قدّمته لهم جامعة القديس يوسف في بيروت لكي يصبحوا رجالًا ونساء حقّقوا ذاتهم، ولكن أيضًا من أجل الآخرين ومعهم. كان هذا اليوبيل، يوبيل ال 25 عامًا، بمثابة حدث قويّ شهدت خلاله كرمل واكيم وفريق الخدمة والمدرسة اللبنانيّة للتدريب الاجتماعيّ وجامعة القديس يوسف في بيروت، على يد رئيسها ورؤسائها السابقين، يحتفلون معًا بشغفهم الاجتماعيّ، أي العطاء، لكي ينتشر الخير مثل النبيذ الجيّد الذي يُسكب في الدنان الممتلئة للجميع.

عزيزتي كرم، لقد قلت في ذلك الوقت إن هذا المؤتمر كان ضروريًا "لأنه كان من الجيد مشاركة تجربتنا وإظهارها بكل تفاصيلها ولا سيما في مهنتها." كنت تتذكرين كيف رافقت هذه الخدمة الجامعة في أماكن الهجرة هذه في بيروت، والزوق وأماكن أخرى ؛ كنت تتذكرين جامعة القديس يوسف النشطة، ليس فقط من خلال عملها لتوفير المساعدة المالية للطلاب، ولكن أيضًا من خلال هؤلاء الطلاب أنفسهم والمعلمين في ثلاثة أماكن تركز تحت وطأة الضائقة الاجتماعية : في مخيم ضبيه، حيث كان الطلاب المتطوعون يشرفون على الدروس، وفي كرم الزيتون ثم في شارع أوروغواي. في هذه المدرسة الصغيرة الأخيرة الواقعة بين الجميزة ومار مارون، كان هناك أطفال الأحياء الذين يزرعون تحت وطأة الفقر المدقع." قلت، منذ عامين، قدمنا لهم الدعم المدرسي".

هذا هو العمل الذي أنثى عليه الأب دوكرويه Ducruet في خطابه في 19 آذار (مارس) 1991 فقال : "في الختام، أود أن أشيد بالخدمة الاجتماعية التي تتولى المهمة الكبيرة ألا وهي مساعدة أكثر من 40 في المائة من أعداد الطلاب، وأشكر المؤسسات والأفراد الذين يقدمون هذه المساعدة." وأشاد بهذه الخدمة التي أنجزت مهمة أخرى ألا هي تقديم المساعدة إلى مائتين وثلاثمائة طالب، إجتماعيًا وفرديًا، من خلال توفير السكن لهم، وتسوية الخلافات الأسرية، وتقديم المساعدة الطبية أو غيرها أيضًا من المشاكل التي يزرعون تحت وطأتها.

أعتقد أن مؤسسة Fondation USJ التي تحملت مسؤوليتها لنحو خمس سنوات هي وريثة هذا الشغف الاجتماعي الذي تتمتع به جامعة القديس يوسف في بيروت لأن ما يتم القيام به فيها من حيث جمع التبرعات هو التعبير الأكثر حداثة ومنهجية وديناميكية مستمرة لهذا الشغف لما هو إجتماعي، استنادًا اليوم إلى التقنيات المتقدمة والأدوات الفعالة للعمل المنسق من أجل جمع المنح الدراسية، والمساهمة في تطوير البنى التحتية للجامعة في عالم يزداد فيه التنافس ويتفاقم ويتخبط اليوم تحت وطأة أزمة اقتصادية وصحية، ناهيك عن أزمتنا التي يتحالف فيها الفساد، وانهلال الدولة، وسوء إدارة الشؤون العامة.

بما أن الأمر يتعلق ببقاء جامعاتنا واستمراريتها، تخيلوا بأن مديرية التعليم العالي في الوزارة ليست محوسبة، فملقاتنا معلقة في الأروقة وأربعة أو خمسة رجال ونساء مستبين يهتمون بأعمالنا. أستعيد أفكاري للتأكيد على أن مرورك في هذا المكان كان حقًا لحظة تأسيسية شجاعة لتنظيم جمع التبرعات وإقامة العلاقات مع المانحين، وذلك بفضل الفريق الذي أنشأته، ولكن أيضًا وقبل كل شيء بفضل تالا خلط ومهاراتها. أنا معجب بكيفية حصولك على المساعدة في هذه المهمة، بالاعتماد على الفريق وإنشاء نظام بيئي للعمل الجيد الملتمزم. في كل هذا، لم توفري النسيج الاجتماعي حولك من أي متبرع وخاصة من كبار السن مثل سامي تركي وآل مشعلاني ولم تفقدي الإحساس بعمل مؤسسة Fondation USJ وخاصة بالنسبة إلى جامعة القديس يوسف في بيروت، وبالنسبة إلى مستشفى "أوتيل ديو دو فرانس" HDF أيضًا، وهو ليس سوى جمع الأموال الناجح، فالיום يمكننا أن نقول إن هناك جمعًا للتبرعات لجامعة القديس يوسف في بيروت يمكننا أن نبني عليها استراتيجية سياسة جمع الأموال في المستقبل.

أنت من تحملين اسم كرم الله، الكرمل، أنا متأكد من أنك ستبقين قريبة جدًا من الجامعة بكفاءتك المتميزة. هناك مصائر محتمة في هذا العالم، ومصيرك هو البقاء مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بجامعة القديس يوسف في بيروت، ولا يمكن فصل وجودك عنها. حتى في فترة تقاعدك، وأثناء رعايتك لحفيداتك وأحفادك، بقيت المستشارة المناسبة

لرئيس الجامعة من أجل مواصلة تعزيز شغفنا بالله والإنسان، وبعبارة أخرى، من أجل نشر المحبة والعمل من أجل خلاص الكثيرين ممن يحتاجون إلى نظرتنا المتضامنة والخيرة.